مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية

المجلد12/العدد: 02 (2022)، ص 555-572

المقاربة السوسيولوجية للحضارة في فكر مالك بن نبي و ابن خلدون

The Sociological Approach To Civilization in the Thought of Malik bin Nabi and (Ibn Khaldun

Full name of the first author Nechadi Abdelkader[1]

نشادي عبد القادر *

[1] المهنة والرتبة أستاذ محاضر أ مؤسسة الانتماء كاملة جامعة يحي فارس بالمدية إيميل الباحث ne_expert09@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/11/09 تاريخ القبول: 2022/12/28 تاريخ النشر: 2022/12/28

ملخص:

يجب يرمي هذا البحث الى شهد تاريخ البشرية منذ الأزل محاولة الإنسان وسعيه لتحقيق متطلباته وطموحاته العديدة والمتجددة في جميع مجالات الحياة ، بغية تحقيق انجازات ومكاسب متعددة، وهو ما يعبر عنه بمصطلح الحضارة ، وقد شهد مفهوم هذه الأخيرة اختلافا في تفسيره وشروط تحقيقه من مجتمع إلى آخر ، وهو ماسهم في تعدد الرؤى وتنوع الاتجاهات السوسيولوجية التي تناولت المفهوم بشكل دقيق ومتعمق ، ومن بين هؤلاء الذين تعمقوا في المفهوم من أوجه وزوايا مختلفة نجد العلامة ابن خلدون والمفكر مالك بن نبي، فكلاهما تناول مفهوم الحضارة وأبدعا في محاولة صياغة نظرية متكاملة عنها ، وهو ما تحاول هذه الورقة البحثية تبيانه من خلال توضيح تحليل ابن خلدون الفذ والمبدع في تناوله لمفهوم الحضارة وتبيان أسباب قيامها بوضع تصور دقيق لمراحل تكوينها ومظاهر قوتها وصولا الى تبيان أسباب الضعف التي تكتنفها وتؤدي الى زوالها ،وكل ذلك من خلال تركيزه على مفهومي العصبية والبداوة، ثم التطرق لتصور المفكر الجزائري مالك بن نبي والذي يعد من ابرز المفكرين المعاصرين الذين استوعبوا الفكر الخلدوني وتعمقوا في كتاباته ،وبدا تأثير ابن خلدون جليا على ابن مالك خاصة ما تعلق ببناء الحضارة، كما أن إقامة مالك بن نبي بفرنسا فرصة له للتعمق في أسرار الحضارة الغربية التي اكتشف زيفها ،وأدرك أن حل مشكلة كل شعب يكمن في الارتقاء بفكره والتعمق في فهم أسس وعوامل بناء

* **المؤلف المرسل:** عبد القادر نشادي، **الإيميل:** ne_expert09@yahoo.com

الحضارة ، مركزا على بناء الانسان ، وهو ما سنحاول ا في هذه الورقة تبيانه من خلال تناول مقاربته للحضارة من خلال مفهومي الثقافة والأفكار .

الكلمات الدالة: العصبية، البداوة، التحضر، الأفكار، الثقافة .

Abstract:

This research aims to witness the history of mankind from time immemorial, man's attempt and his quest to achieve his numerous and renewed requirements and ambitions in all areas of life, in order to achieve multiple achievements and gains, which is expressed by the term civilization, and the concept of the latter has seen a difference in its interpretation and conditions for achieving it from one society to another. It contributes to the multiplicity of visions and the diversity of sociological trends that dealt with the concept in an accurate and in-depth manner. Among those who delved into the concept from different sides and angles, we find the scholar Ibn Khaldun and the thinker Malik bin Nabi, both of whom dealt with the concept of civilization and were creative in trying to formulate an integrated theory about it, which is what they are trying This research paper explains it through, clarifying Ibn Khaldun's feat and creative analysis in dealing with the concept of civilization and explaining the reasons for its establishment of an accurate conception of the stages of its formation and manifestations of its strength, in order to clarify the reasons for the weakness that surround it and lead to its demise, all by focusing on the concepts of nervousness and nomadism, then addressing the perception of the Algerian thinker Malik Bennabi, who He is considered one of the most prominent contemporary thinkers who absorbed Khaldunian thought and delved into his writings. Ibn Khaldun's influence on Ibn Malik was evident, especially with regard to building civilization. Also, Malik bin Nabi's stay in France was an opportunity for him to delve deeper into the secrets of Western civilization, which he discovered its falsity, and realized that solving the problem of all A people lies in advancing its thought and deepening the understanding of the foundations and factors of building civilization, focusing on building the human being, which we will try to clarify in this paper by addressing its approach to civilization through the concepts of culture and ideas.

Keywords: Nervousness, The Bedouin, Urbanization, Ideas, Culture

Résumé :

Cette recherche vise à témoigner de l'histoire de l'humanité depuis des temps immémoriaux, de la tentative de l'homme et de sa quête pour réaliser ses exigences et ambitions nombreuses et renouvelées dans tous les domaines de la vie, afin d'atteindre de multiples réalisations et gains, qui s'exprime par le terme de civilisation, et le concept de celui-ci a connu une différence dans son interprétation et les conditions de sa réalisation d'une société à l'autre.Il contribue à la multiplicité des visions et à la diversité des courants sociologiques qui ont traité le concept de manière précise et approfondie Parmi ceux qui ont approfondi le concept sous différents angles et sous différents angles, nous trouvons le savant Ibn Khaldoun et le penseur Malik bin Nabi, qui ont tous deux traité du concept de civilisation et ont été créatifs en essayant de formuler une théorie intégrée à son sujet, qui est ce qu'ils essaient Ce document de recherche l'explique à travers Clarifier l'exploit et l'analyse créative d'Ibn Khaldoun à propos du concept de civilisation et expliquer les raisons de son instauration d'une conception juste des étapes de sa formation et des manifestations de sa force, afin d'éclairer les raisons de la faiblesse qui l'entoure et conduire à sa disparition, le tout en se concentrant sur les concepts de nervosité et de nomadisme, puis en abordant la perception du penseur algérien Malik Ben nabi, qui est considéré comme l'un des penseurs contemporains les plus éminents qui a absorbé la pensée khaldounienne et s'est plongé dans ses écrits. l'influence sur Ibn Malik était évidente, notamment en ce qui concerne la construction de la civilisation. Aussi, le séjour de Malik bin Nabi en France fut pour lui l'occasion d'approfondir les secrets de la civilisation occidentale, dont il découvrit sa fausseté, et réalisa que résoudre le problème de tout Un peuple réside dans l'avancement de sa pensée et l'approfondissement de la compréhension des fondements et des facteurs de la construction de la civilisation, en se concentrant sur la construction de l'être humain, que nous essaierons de clarifier dans cet article en abordant son approche de la civilisation à travers les concepts de culture et d'idées .

Mots clés: Nervosité, Nomadisme, Urbanisation, Idées, Culture

مقدمة: يرتبط الحضارة بظهور الإنسان على وجه المعمورة فلا يمكن تصور حضارة بدون إنسان ، وقد عبرت الأمم والشعوب عن مظاهر الحضارة بأشكال مختلفة ومتعددة ، سواء أكانت مادية من آلات ووسائل تكنولوجية تؤمن المصالح الخاصة وتلبي الرغبات المتعددة وتحقق منفعة الإنسان ورفاهيته ، أو المظاهر المعنوية التي تربط الإنسان بنفسه وبربه وبالطبيعة على غرار القيم والأخلاق ، وبشكل عام تشكلت مظاهرها من خلال استغلال التطور العلمي والتكنولوجي لاستثمار موارد الطبيعة ، ومقدراتها لتوفير مستلزمات الأفراد وحاجاتهم .

إن المتتبع لواقعنا المعاصر يرى تناقضا فاضحا بين من يملك مظاهر الحضارة في شقها المعنوي لكنه لايملك الشق الآخر، فالأمم والشعوب التي تتحكم في مصير البشرية تنعدم فيها القيم الإنسانية وتمتص موارد الشعوب المستضعفة بكل جشع وحقد ، ولعل وباء العصر أو ما يسمى بجائحة كورونا لأكثر شاهد على ذلك ،حيث نرى أن أكبر الدول تقدما وازدهارا لا يهمها في فقدان فئة من شعوبها (المسنين، الأمراض المزمنة،...الخ) ، لأن هذه الفئات تشكل عبئا ماليا على اقتصادياتها ولا تسهم في دفع عجلة التطور والازدهار ، وهو ما يؤكد افتقارها للجانب الروحي القيمي في بناء حضارتها.

إن هذا الإسقاط على واقعنا اليوم هو ضرورة حتمية للتحدث عن مفهوم التحضر أو الحضارة التي نادى بها العلامة ابن خلدون والمفكر الجزائري مالك بن نبي، فتصور الحضارة كما أسلفنا سلفا من المظاهر المادية(وسائل تكنولوجية، سيارات فخمة، آلات...الخ)، إنما هو تصور مضلل لا يمكن التسليم به، ببساطة لأن هذا التصور الخاطئ تم تبنيه من قبل هيئات ومؤسسات عالمية ، بغية ترسيخ فكرة التبعية ،غير أن المجتمعات العربية والإسلامية حسب مالك بن نبي هي بصدد بناء حضارة جديدة مخالفة للتي يقودها الغرب حاليا ، بسبب القيم الروحية والمعنوية التي تحملها هذه الأمة، فلا يمكن للعناصر الثلاث التي تشكل الحضارة حسبه (الإنسان، التراب، الوقت) ، أن تحقق النهضة الحضارية مالم يكن هناك مفاعل وهو العقيدة التي تساعد على مزج العناصر الثلاث في قالب واحد، ومجتمعاتنا حسبه لازالت غير مهيأة لصنع الحضارة مالم تبتعد عن ذهنية القابلية للاستعمار وبناء الإنسان من خلال التعليم والعقيدة والانتماء، ورغم الاتفاق الجلي بين فكر مالك بن نبي وابن خلدون في عناصر كثيرة لاسيما الاستشهاد بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والاستشهاد التاريخي، أو بتقارب الرؤى حول على أسباب الهزيمة الحضارية من خلال الإفراط في الترف وانتشار الظلم نتيجة طغيان الأفراد حسب ابن خلدون ، أو اشتغال الأمة واهتمامها بعالمي الأشياء والأشخاص وإهمال عالم الأفكار ، مما ينذر بحدوث هزيمة حضارية حسب مالك بن نبي ، إلا أن هذا الأخير قدم بدائل وحلول واقعية قابلة للتطبيق للقضاء على مشكلات الحضارة وتبوأ المكانة التي تستحقها مجتمعاتنا ، مستفيدا مما قدمه ابن خلدون لاسيما التوصيف الدقيق لعمر الدولة ونشأتها.

على ضوء كل ما سبق وقصد الإجابة على التساؤل الرئيسي التالي: ماهي المقاربة السوسيولوجية للحضارة لكل من ابن خلدون ومالك بن نبي ؟ سنحاول في هذه الورقة البحثية الإجابة على هذا التساؤل وتساؤلات فرعية أخرى في نفس السياق، وذلك من خلال ثلاث عناصر رئيسية:

-نبذة تعريفية للعلامة ابن خلدون والمفكر مالك بن نبي.

-البداوة والعصبية ضمن مقاربة ابن خلدون للحضارة.

-الأفكار والثقافة نحو مقاربة لحل مشكلات الحضارة في فكر مالك بن نبي

1. نبذة تعريفية للعلامة ابن خلدون والمفكر مالك بن نبي

1.2 . ابن خلدون بطاقة تعريفية:

هو العلامة أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الحضرمي ، من ولد وائل بن حجر الاشبيلي الأصل التونسي القاهري المالكي المعروف بابن خلدون ، ولد في أول رمضان من سنة اثنين وثلاثون وسبع مائة (732م) بتونس،حفظ القرآن والشاطبتين ،توجه سنة 753م إلى فاس فوقع بين يدي سلطانها ابن عنان ثم امتحن واعتقل نحو عامين ، ثم ولي كتابة السر لأبي سالم أخي أبي عنان وكذا النظر في المظالم ، ثم دخل الأندلس فقدم غرناطة في أوائل ربيع الأول سنة 764م ،ثم رجع إلى تلمسان فأقام بها أربعة أعوام ، ثم ارتحل في رجب سنة 780م إلى تونس ، ثم قدم الديار المصرية في ذي القعدة سنة 784م فحج ، ثم عاد إليها وتلقاه أهلها وأكرموه وتولى قضاء المالكية بالديار المصرية ومات سنة 808 م ، وله من المؤلفات غير الإنشاءات النثرية والشعرية التي هي كالسحر :التاريخ العظيم المترجم بالعبر في تاريخ الملوك والأمم والبربر ،حوت مقدمته جميع العلوم وجلت عن محجتها ألسنة الفصحاء فلا تروح ولا تحوم(أبو صهيب ، 2004 ،ص ص08 - 09).

2.2. مالك بن نبي المولد والنشأة وأهم المؤلفات:

ولد المفكر الجزائري مالك بن نبي في الأول من جانفي من سنة 1905 بقسنطينة، ثم انتقل مع أسرته وهو لا يزال صغيرا إلى مدينة تبسة، أين درس في الكتاب لمدة أربع سنوات ، وبعدها واصل تعليمه الابتدائي وكان متفوقا بحيث نال الشهادة بتقدير جيد جدا، انتقل بعدها إلى التعليم الثانوي بقسنطينة و هناك لم تكن تهمه دروس الثانوية فحسب ، بل كان يحضر دروس الفقه للشيخ " ابن العابد "و دروس النحو العربي و الصرف على الساعة السابعة من كل صباح أي قبل الالتحاق بالثانوية في الجامع الكبير ، في عام 1927 عين في سلك القضاء بمدينة آفلو ، وسنة 1930 انتقل مالك بن نبي إلى فرنسا لغرض الدراسة فأجرى امتحانا للدخول إلى معهد الدراسات الشرقية ،ولكن خابت آماله في الدخول لهذا المعهد فسجل نفسه في معهد اللاسلكي ،وفي عام 1936 عين مالك بن نبي بعد ذلك في مرسيليا على رأس نادي المؤتمر الجزائري لتثقيف العمال الجزائريين في فرنسا لكنه أغلق ، في عام 1936 عاد مالك بن نبي إلى الجزائر في هذه السنة، وتولى مناصب عدة منها مستشار التعليم العالي، و مدير جامعة الجزائر(المركزية)،

و مدير عام للتعليم العالي، كما كانت له ندوة أسبوعية يعقدها في بيته بالجزائر العاصمة، وكانت مقصد الشباب من سائر العالم الإسلامي و أوروبا ، وهي" ندوة مالك ابن نبي "التي صدرت كتبه كلها تحت عنوانها هذا ، في عام 1973 يوم الأربعاء 4 شوال 1393 هـ الموافق لـ 1973/10/31 انتقل إلى رحمة الله المفكر الكبير مالك بن نبي(طارق، 2013، ص04).

عرف عن مالك بن نبي بأنه صاحب فكر ورؤية مستقبلية ثاقبة، اتخذ من حالة الجزائر نموذجا لعديد الأقطار العربية والإسلامية التي كانت تئن تحت وطأة الاستعمار ،حيث قدم عديد الدراسات العميقة لواقعها ورؤيته للخروج من حالة التخلف والضياع إلى مرحلة أكثر نهضة وتطورا ، وأدرج كل مؤلفاته التي تتجاوز ستة وعشرين مؤلفا تحت عنوان: "مشكلات الحضارة" منها شروط النهضة(les conditions de la renaissance) سنة 1949،مشكلة الثقافة(le problème de la culture)سنة 1965، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة(la lutte idéologique dans les pays colonisés) سنة 1960، وكتاب تأملات(Réflexions) سنة 1961، وغيرها من المؤلفات.

2. البداوة والعصبية ضمن مقاربة ابن خلدون للحضارة:

1.3. مفهوم الحضارة عند ابن خلدون:

جاء في لسان العرب في مادة "حضر" بفتح الحاء أو كسرها ، تعني الإقامة في الحضر أي في المدن والقرى ، بخلاف البداوة في معجم متن اللغة الحضارة هي ضد البداوة ، وجاء أيضا في المعجم "الوسيط " أن الحضارة تعني الإقامة في الحضر ، وهي مظاهر الرقي العلمي والفني الأدبي والاجتماعي في الحضر(وهيبة، 2007، ص ص395-396)

أما تناول مفهوم الحضارة عند ابن خلدون لايمكن تبيانه إلا من خلال السياق العام للمنهجية العامة التي تبناها ، والتي احتوتها مقدمته المشهورة المكونة من أبواب ستة فسرت بشكل جلي صيرورة العمران البشري والحضري ، وقدم تحليلا يعتبر عند عديد الدارسين تحليلا نادرا وعميقا لمفهوم الحضارة ، من حيث النشأة و الأفول أو الاضمحلال ، حيث نرى أن ابن خلدون قد تناولها من خلال تطرقه لعلم العمران البشري أين حاول ابن خلدون الكشف عن السيرورة التاريخية ومختلف العوامل التي تؤثر فيها ، إضافة إلى سعيه للتعرف على الأسباب التي ساهمت في الفوضى والانهيار التي عاشها العالم الغربي بشكل خاص إبان القرن 14 أين كان ابن خلدون شاهدا لواقعها ، حيث صاغ من خلال هذه السيرورة الاجتماعية والتاريخية النتيجة الحتمية والمصيرية حسبه ، لكل حركة أو ظاهرة تاريخية واجتماعية ، وطرح نظرية (دورة العمران) ، والتي يشير خلالها إلى أن تطور المجتمع يمر بانتقال من مرحلة العمران البدوي إلى مرحلة العمران الحضري أو الحضارة ،حيث عرفها "كظاهرة اجتماعية تاريخية بأنها التفنن في الترف واستجادة أحواله والكلف بالصنائع المهيأة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الآنية ولسائر أحوال

المنزل"،فهي الوصول إلى منتهى التطور الثقافي الشخصي المحلي للجماعة كما يرى أن الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وأنها مؤذنة بفساده ،فالحضارة هي نهاية العمران"(وهيبة،2007، ص399).

2.3. البداوة والعصبية مقاربة لتشكيل الحضارة:

تبعا للمفاهيم السابقة للحضارة ، يعد ابن خلدون منفردا في الحقل التاريخي والسوسيولوجي الذي قام بتحليل مفهومها من حيث النشوء والأفول والاضمحلال ، وعليه فالحضارة حسب ابن خلدون تمثل تطورا طبيعيا في حياة المجتمعات المختلفة وهي تعبر عن غاية أهل البداوة إذا ما توافرت لهم العوامل الداخلية والخارجية المادية منها والأدبية للوصول إلى ما يصطلح عليه ابن خلدون بأجيال التحضر .

ويشير ابن خلدون في وصفه لهذا الجيل ومميزاته في قوله:"...ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى و الرفه ، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها وتوسعة البيوت ، و اختطاط المدن والأمصار للتحضر ، ثم تزيد أحوال الرفه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنق في علاج القوت و استجادة المطابخ ، و انتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك ومعالات البيوت والصروح ، و إحكام وضعها في تنجيدها ، و الانتهاء في الصنائع في الخروج من القوة إلى الفعل إلى غاياتها ، فيتخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون في صرحها ويبالغون في تنجيدها ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو وانية أو ماعون ، و هؤلاء هم الحضر ، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان. (أبو صهيب ، د س ،ص ص08 - 09).

إلا أن بلوغ الغاية التي يطلبها البدو حسب ابن خلدون قد تتحول إلى فساد العمران وزواله فالانتقال من عصبية البداوة إلى عصبية الحضارة ، بسبب مظاهر الترف مما يؤدي إلى تعرضهم للأذية والاعتداء ،حيث يصبحون فريسة سهلة مما ينبؤ بزوالهم وأفولهم، وظهور عصبية أخرى وهكذا...،

ويشير الدكتور عبد الغني مغربي في معرض حديثه عن العصبية عند ابن خلدون أن هذه الكلمة هي " كلمة عربية الأصل مشتقة من لفظ"عصب" الذي يعني حرفيا:ربط،تجمع،شد ،أحاط،اجتمع... ثم إن عددا من الكلمات المشتقة من نفس الأصل تتضمن نفس الفكرة :عصب(جعل شخصا على رأس حزب)، تعصب (عصب رأسه بعصابة ،كان متعصبا) ، انعصب (أصبح قاسيا)، عصب (عمامة) ، عصب (نخبة قبيلة ، عصب) عصابة (جماعة من الرجال)،معصب(زعيم،سيد)،...الخ (عبد الغني ،1988،ص145)، ويرى ابن خلدون أن هناك نوعان من العصبيات عصبية كبرى وأخرى صغرى ، فالعصبية الكبرى هي تلك التي تجمعهم صلة القرابة والنسب وتعتبر أقوى عصبية وتكون هذه العصبية في بداية تأسيس الدولة أو في مرحلة البداوة ، وبعد الانتقال والاستقرار في مرحلة الحضارة ، إلا أن هذه العصبية تبدأ في الضعف والهوان بسبب الاهتمام بالملذات والشهوات ، أما العصبية الثانية (الصغرى) فهي تتكون من بطانة الحاكم ومواليه ، وهي ما يعرف بعصبية الولاء.

كما يؤكد ابن خلدون أن البدو هم أصل الحضر وغايته وهذا في قوله:"...قد ذكرنا أن البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم العاجزون عما فوقه، وان الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم ولا شك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه، لأن الضروري أصل الكمالي فرع ناشئ عنه ، فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما لان أول مطالب الإنسان الضروري ولا ينتهي إلى الكمال والترف إلا إذا كان الضروري حاصلا فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة ولهذا نجد التمدن غاية البدوي يجري إليها (أبو صهيب ، د س ،ص 65).

وعليه فالسيرورة السوسيولوجية التي تبناها ابن خلدون في تناوله للحضارة والتحضر هي العمران البشري من خلال الانتقال من عصبية البداوة إلى عصبة الحضارة، وهو ما يؤكده بقوله: " فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما...وما يشهد لنا أن البدو أصل للحضر ومتقدم عليه...أن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة وأنها أصل لها...وقد تبين أن وجود البدو متقدم على وجود المدن والأمصار وأصل لها (عبد الرحمان،2004، ص ص 135-137).

من خلال ما سبق يتبين أن الحضارة حسب ابن خلدون هي الانتقال من نموذج إلى نموذج آخر وفق تشكل العصبية وقوتها ، حيث تعد البداوة بداية للنموذج وتبعا للتغير الذي يميز الجماعة الإنسانية ويشكل سمة أساسية لها تبعا لقانون الطبيعة حسبه ، الذي يقتضي التغير والتطور على كل أشكال الحياة فان هذا النموذج يتغير نحو نموذج آخر تدريجيا وهو نموذج التحضر أو الحضارة ، الذي مآله سقوط العصبية وزوالها ، بسبب أشكال الترف والشهوات لتقوم عصبية أخرى على أنقاضها وهكذا، وفي هذا السياق أكد ابن خلدون " أن تأسيس الدولة يسبق دائما تأسيس المدينة فتكوين الدولة وهو على كل حال لازمة طبيعية لعمل العصبية يؤدي حتما إلى العمران الحضري(الحضارة) فارتقاء شيخ القبيلة وتفوقه على غيره يدلان على الانتقال من طريقة إنتاج إلى أخرى تختلف عنها اختلافا كليا (عبد الغني ،1988، ص 167).

عموما يمكن القول أن العصبية عند ابن خلدون يشكل تصور يقع بين البداوة والحضارة ،وقد قدم هذا المفهوم على مستويات مختلفة ،وهو ما أشار إليه الدكتور عبد الغني مغربي في مؤلفه " الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون "، حيث تعبر في حالها الأصلية التي تتكون وحشية ، فالبادية أساس وقوام هذه العصبية وتعني القرابة بالعصب ، قرابة الرحم والتي يشكل فيها الضعالة (الزواج بين أفراد الجماعة الأصلية) أمرا ضروريا في المجتمع البدوي المغربي، وتنطوي العصبية في هذا المستوى على ثلاث عناصر أساسية وهي العنصر البيئوي والذي تمثله البادية، وعنصر أحيائي من خلال النسب الثنائي أو ما أبرزه الأستاذ مغربي في مؤلفه بقرابة العصب الثنائية ، بمعنى قرابة من جانب الأم وقرابة من جانب الأب، إضافة إلى العنصر الثالث وهو العنصر الأخلاقي ممثلا في الوقار والاحترام الشديد، ثم يأتي المستوى الثاني للعصبية ما يعرف بظاهرة الالتحام أو التحالف ، ولا تكون إلا في المدينة أي في العمران الحضري ، ويمكن أن يكون هذا التحالف فرديا أي يتعهد به الفرد وحده من خلال انضمام الفرد إلى جماعة أجنبية التي

تمتصه في نهاية المطاف ، رغم أنه ينظر إليها نظرة الدخيل (سواء أكان نفسه أو من خلال ذريته بعد وفاته)، ويمكن أن يكون هذا التحالف جماعيا من خلال عقد بين قبيلتين أو أكثر، وهناك توصيف العصبية في مستوى ثالث حسب الأستاذ مغربي دائما في نفس المؤلف السابق من خلال المستوى الاقتصادي والسياسي ،حيث يشير في هذا المقام الأستاذ مغربي :"...أن القبائل التي يكون لها رئيس قوي ومستبد هي التي تتوصل وحدها إلى تأسيس دولة أو امبراطورية أعني أنها تستطيع أن تتحضر ، فالتماسك الاجتماعي المبني على قرابة العصب الحقيقية أو الوهمية لا يجسد العصبية بالمعنى السياسي للكلمة ، فهو شرط فقط من الشروط التي يجب أن تتوفر لتتمكن العصبية التي تشكل نقطة اتصال بين البداوة والحضارة من الظهور والبروز"(عبد الغني،1988، ص 155).

3.3. الحضارة أعمارها وعوامل انهيارها عند ابن خلدون:

3.1.3 .أعمار الحضارة عند ابن خلدون:

للحضارة حسب ابن خلدون ثلاثة أعمار أو مراحل لكل مرحلة عمر وبداية ونهاية، وخصائص معينة تختلف عن سابقتها (وهيبة،2007، ص ص 400-401):

- **المرحلة الأولى:** هي مرحلة البناء والتأسيس للدولة وهي بمثابة مرحلة الميلاد، وجيل هذه المرحلة يحمل خصائص تجعله مؤهلا وقادرا على تأسيس الدولة وحمايتها ،يمثله بمعيشة البدو في الصحاري والبراري في الجبال والتتار في السهول ، و هؤلاء لا يخضعون لقوانين مدنية ولا تحكمهم سوى حاجاتهم وعاداتهم "لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فحدهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلبون .
- **المرحلة الثانية:** هي مرحلة القوة والازدهار والمجد ، وفي هذه المرحلة تبلغ الحضارة أقصاها وتكون أرقى مراحلها وأوج قوتها ، فهي مرحلة الاستقرار في المدن والتمكن من العلوم والصناعات والجيل المصاحب لهذه المرحلة يتمتع بالازدهار الاقتصادي ، التوسع والتفنن العمراني اللذان تحققا نتيجة السيطرة على الأقاليم وإخضاع بقية القبائل ، ويتحول من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف والخصب ، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي فيه ومن عز الاستطانة إلى ذل الاستكانة فتنكسر صورة العصبية بعض الشيء وتؤنس منهم المهانة والخضوع.
- **المرحلة الثالثة:** وهي مرحلة الضعف والانحطاط ثم الانقراض يسود فيها الضعف للدولة فيتجه هؤلاء إلى الراحة والانغماس في الترف والنعيم والإسراف والشهوات ، وتغير إلى المناكر والتواضع عليها وأوكلوا أمر الدفاع عنهم إلى واليهم وحامية حراستهم ، وألقوا السلاح ونزلوا منزلة النساء، ويفقدون حلاوة العز ، والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ فيهم الترف غايته بما تفننوه من النعيم وغضاوة العيش ، فيصيرون عيالا على الدولة....

وفي وصفه لمرحلة الانهيار والفناء يقول ابن خلدون :"...فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والبسالة ويتنعمون فيها فيما أتاهم الله من البسطة وتنشأ بنوهم وأعقابهم في مثل ذلك من الترفع عن خدمة أنفسهم وولاية حاجاتهم ، ويستنكفون عن سائر الأمور الضرورية في العصبية حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية ، فتنقص عصبيتهم وبسالتهم في الأجيال بعدهم بتعاقبها إلى أن تنقرض العصبية فيأذنون بالانقراض ، و على قدر توجههم ونعمتهم يكون إسرافهم على الفناء ، فضلا عن الملك فان عوارض الترف والغرف في النعيم كاسر من سورة العصبية التي بها التغلب ، وإذا انقرضت العصبية قصر القبيل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة والتهمتهم الأمم سواهم (أبو صهيب ، د س ،ص 74)،، وعليه فكل ظاهرة تحمل حسب ابن خلدون في ثناياها منذ بروزها في مجريات الحياة جرثومة هزالها ، وسبب رأبها وهذه الحركة مدرجة في طبيعة الأشياء نفسها ولكي يوضح فكرته أفضل من ذي قبل فانه لا يتردد في إقامة مقارنة بين الدول (المرتبطة ارتباطا وثيقا بالحياة الحضرية) والأفراد وهو يقول بهذا الصدد :"....فهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزيد إلى سن الوقوف ثم إلى سن الرجوع" ،فالحياة والموت في نظر ابن خلدون لوحتان موحدتان ومتعارضتان في أن واحد وهما مع ذلك متضامنتان على الرغم من انه لا يمكن التوفيق بينهما(عبد الغني ،1988، ص 120).

2.3.3. عوامل انهيار الحضارة عند ابن خلدون:

يشير ابن خلدون من خلال مؤلفاته أن عوامل انهيار الحضارة مستمدة من عوامل قوتها ،وإجمالا يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- ❖ اهتمام العصبية بالشهوات وملذات الحياة في مرحلة الانتقال من العمران البدوي إلى العمران الحضري، وإهمال عوامل قوتها وترك السلاح وتكليف الحامية بالأمن والدفاع مما ينذر بسقوطها.

السبب الاقتصادي أو الترف فرغم أن العامل الاقتصادي ذو أهمية كبيرة في تكوين الحضارة وبنائها من خلال ما تؤمنه من موارد تساهم في استمراريتها وصد المخاطر وشن الحروب إلا أنها في نفس الوقت قد تكون معولا حسب ابن خلدون لهدم الحضارة واندثارها ،"فطبيعة الملك تقتضي الترف حيث النزوع إلى رقة الأحوال في الاهتمام بالمطعم والملبس ، الفرش والآنية وحيث شيد المباني الحافلة والمصانع العظيمة والأمصار المتسعة والهياكل المرتفعة ، وحيث إجازة الوفود من أشراف الأمم ووجوه القبائل ، مع التوسع في الأعطيات على الصنائع والموالي ، وإدارة الأرزاق على الجند ، ويزيد الانغماس في الترف والنعيم لا من جانب السلطان فحسب بل من جانب الرعية أيضا" (وهيبة،2007، ص402)، وما يمكن الإشارة إليه في هذا المقام أن الذي يفسد هنا ليس النسب نسب القبيلة وإنما الذي يفسد العصبية حقا ويكسر من سورتها هو أن نجاح العصبية أو القبيلة في الحصول على مستوى أحسن من العيش يبرز فيها مصالح

شخصية متناقضة ، الشيء الذي يضعف ذلك التضامن الذي به كانت قوتها ووحدتها فتنحل عراها وينهار تماسكها ويكون مآلها "هرم دولتها" فزوال حكمها (محمد ، 1992،ص177).

- ❖ وعليه فابن خلدون يرى أن الغنى والترف والإسراف في التنعم بالملذات والشهوات هو مظهر من مظاهر الحضارة ورقيها ، إلا أنه يشكل في نفس الوقت سببا لزوالها واندثارها تبعا للنتائج المترتبة عنه.
- ❖ إهمال المشورة من أهل العصبية والتفرد باتخاذ القرارات منكفئا السلطان على نفسه بدافع الغرور والمجد وهو ما يساهم في ظهور الأعداء وتوسع رقعتهم حتى تشمل أقرب الأقربين ،وكل ذلك بسبب التكبر والأنفة الناجمة عن شهوة الملك والمجد مما ينذر بقرب زوال الحضارة وأفولها.

انطلاقا مما سبق يتبين أن ابن خلدون تناول الحضارة وفق مقاربة سوسيولوجية ترتكز على التطور الاجتماعي لحياة الأفراد من حالة البساطة والضروري إلى التعقيد والحصول على الكماليات ، وكل ذلك من خلال تعاقب ثلاث مراحل على المجتمعات مشبها هذه الدورة بحياة الإنسان ،حيث تبدأ المرحلة الأولى بمرحلة بدائية للمجتمع غاية الأفراد فيها تحقيق الضروري من الحياة وذلك بقيامهم بأعمال الزراعة البدائية ويتصف أهل هذه المرحلة وهم البداوة بتعبير ابن خلدون بالشجاعة والخشونة والقوة إضافة إلى الثقة بالنفس ، أما المرحلة الثانية وهي مرحلة الرعي والزراعة المتقدمة وتتطلب مستوى ثقافي متقدم ،في حين أن أخر مرحلة وهي متحضرة يمتاز أفرادها بالليونة وتنتشر فيها مظاهر الصناعة والتجارة وتذوب فيها الأخلاق والقيم وتنتشر المشاكل مما ينذر بسقوط العصبية وقيام عصبية أخرى حسب ابن خلدون ضمن الدورة الحضارية التي أشار إليها .

4- الأفكار والثقافة نحو مقاربة لحل مشكلات الحضارة في فكر مالك بن نبي

1.4. مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي:

انتقد ابن نبي اقتصار ابن خلدون في نظريته على موضوع" الدولة "و يرى أنه كان الأولى به توسيعها إلى نظرية في" الحضارة، "حتى يتمكن من تلاه من المفكرين من استنباط منهج يوضح تطورها ، وتداركا لقصور المنهج الخلدوني، فقد بادر ابن نبي إلى اكتشاف" الدورة الحضارية "منطلقا من تقصي تطورات ماضي المجتمعات الحضارية وحاضرها، فتوصل إلى أن الحضارة من نواحي البنية والوظيفة والغاية هي" جملة من العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره"، و هذا يعني وجود طرف رئيس يمكنه توفير تلك العوامل الاجتماعية بنوعيها، و قد يكون الطرف السياسي هو المخطط بشمول لتحقيقها وتوجيه طاقاتها، بما يسهل للأفراد والجماعات توظيفها للتنمية المجتمعية المستمرة عبر التاريخ(هدى ،2009-2010، ص13)،وقد تناول مالك بن نبي مفهوم الحضارة بتعاريف مختلفة فهو يعرفها بعبارات متغيرة في كتبه المختلفة بحسب الموضوع الذي يبحثه ،فنجده يعرف الحضارة من الناحية التحليلية لمجموع مكوناتها

وكأنها معادلة رياضية فيقول "حضارة= إنسان+ تراب + وقت" ، وتحت هذا الشكل تشير الصيغة إلى أن مشكلات الحضارة تتحلل إلى ثلاث مشكلات أولية مشكلات الحضارة تتحلل إلى ثلاث مشكلات أولية مشكلة الإنسان ، مشكلات التراب ، مشكلة الوقت، فلكي نقيم بناء حضارة لايكفي بان تكدس المنتجات وإنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاث من أساسها ، فهو هنا يجعل أي منتج حضاري بتفاعل هذه العناصر الثلاثة ، فالذي يقصده مالك بن نبي من الإنسان هو بكونه وحدة اجتماعية وليس انفرادية ، أما الوقت فهو مدة زمنية محددة بساعات معينة ينفقها الإنسان كوقتا اجتماعيا مقدرا بساعات عمل ، وأما التراب فهو ما يقدم غذاء الإنسان في صورة استهلاكية توفي بحاجات المجتمع تبعا لعملية الإنتاج(طارق2013، ص06)،كما يعرفها أيضا بأنها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع أن يوفر كل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره (مالك ،1988، ص42) ، وعليه فتناول مالك بن نبي لمفهوم الحضارة من خلال التطرق لمشكلاتها حتى يتم بناء النهضة والانتقال بالشعوب من حالة الكسل والتخلف إلى حالة القدرة والفعالية ، وتحقيق التطور متجاوزا بذلك الطرح الضيق الذي يقتصر على تحقيق النهضة من خلال منتجاتها والظواهر السطحية ، إلى تناول المشاكل التي تعتري الحضارة وتكون سببا لقيامها ملخصا هذه المشكلات كما أشرنا سلفا في الإنسان والتراب والوقت، حيث أن إحداث النهضة التنموية وتحقيق متطلبات الحضارة حسب مالك بن نبي يبدأ من الإنسان لأنه يعتبر المحرك الأساسي والفعلي لكل عملية بناء أو تغيير ، وإعداد الإنسان منوط بشكل رئيسي بتعليمه الانخراط في الجماعة ثم بالتنظيم فالنقد البناء، والاهتمام بالعلوم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية يعد أكثر ضرورة وإلحاحا من تعلم العلوم المادية المجردة.

2.4. الحضارة نتاج فكرة جوهرية تدفع بها في التاريخ:

يرى مالك بن نبي أن المجتمع المتخلف ليس موسوما حتما بنقص في الوسائل المادية(الأشياء)، وإنما بافتقار الأفكار، يتجلى بصفة خاصة في طريقه للوسائل المتوفرة لديه بقدر متفاوت من الفاعلية وفي عجزه عن إيجاد غيرها ، وعلى الأخص في أسلوبه في طرح مشاكله أو عدم طرحها على الإطلاق عندما يتخلى عن أي رغبة ولو مترددة بالتصدي لها(مالك ، 1988 ،ص36) ، و في هذا المقام يؤكد مالك بن نبي أن دور الأفكار في حضارة ما لا يقتصر على مجرد الزينة والزخرفة، كزخارف المدفأة في المنزل مثلا، فهو لا يصبح كذلك إلا حينما يصبح المجتمع في عصور ما بعد التحضر، ففي فترة اندماج مجتمع ما في التاريخ يكون للأفكار دور وظيفي لأن الحضارة هي القدرة على القيام بوظيفة أو مهمة معينة (مالك ، 1988 ،ص36).

كما يرى مالك بن نبي أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها وليس العكس ، فليس واجبا لإنشاء حضارة أن نقوم بشراء منتجات حضارة أخرى ،ويضيف مالك بن نبي أنه حتى يركب العالم الإسلامي في هذا الزمان حضارته وجب الرجوع إلى الصيغة التحليلية لمركبات الحضارة والتي اشرنا إليها سلفا(حضارة= إنسان + تراب + وقت) ، وما هو متعارف عليه أن وجود المتفاعلات غير كاف لحدوث التفاعل في الاتجاه السليم ، إذ لابد من وجود مركب يؤثر على مزج العناصر الثلاث ،وهذا المركب حسبه ليس إلا الفكرة

الدينية أو ما يعرف بالعقيدة ،والتي شكلت أساس بناء كل الحضارات فالفكرة الإسلامية كانت أساس بناء الحضارة الإسلامية ، مثلها مثل الفكرة المسيحية التي كانت سببا في التمهيد لظهور الحضارة الغربية ، رغم أن هذه الفكرة حسب مالك بن نبي لم يكتب لها أن تعمل وتؤثر إلا قرونا بعد ميلادها .

3.4.إصلاح المنظومة الثقافية أساس لتحقيق الحضارة وحل مشكلاتها:

تعد الثقافة من أهم المفاهيم السوسيولوجية التي ركز عليها مالك بن نبي ضمن علاقة متشابكة مع مفاهيم أخرى ، لتشكيل مقاربته في تناول الحضارة وحل مشكلاتها، فالفرد حسبه عامل أساسي من عوامل الحضارة قبل أن يتطلع إلى المستقبل كان لزاما عليه أن يحطم تلك الأغلال التي تكبح تقدمه وتحقيقه التطور والازدهار ، وذلك بتصفية ثقافته من الأفكار البالية ومن عوامل الانحطاط وهو ما أشار إليه مالك بن نبي في قوله:"....وأنه ليجب باديء الأمر تصفية عاداتنا وتقاليدنا وإطارنا الخلقي والاجتماعي مما فيه من عوامل قتالة ، ورمم لافائدة منها ،حتى يصفو الجو للعوامل الحية والداعية إلى الحياة،وأن هذه التصفية لا تتأتى إلا بفكر جديد يحطم ذلك الوضع الموروث عن فترة تدهور مجتمع أصبح يبحث عن وضع جديد هو وضع النهضة ، و نخلص من ذلك إلى ضرورة تحديد الأوضاع بطريقتين : الأولى: سلبية تفصلنا عن رواسب الماضي ، والثانية ايجابية تصلنا بمقتضيات المستقبل" (مالك ،1986،ص80) ،وبعبارة أخرى فحسب مالك بن نبي لابد للفرد المتخلف أن ينفك عن الثقافة السائدة في عصر الانحطاط ويرسم معالم ثقافة جديدة ، تحدد لها طريقا نحو التحضر والازدهار ،وهنا يشير مالك بن نبي إلى ضرورة رفع اللبس عن مفهوم الثقافة وعدم الخلط بينها وبين العلم، "فالثقافة بالنسبة للفرد الذي يعد حاملا لها ومتفاعلا مع مكوناتها تعبر عن المحيط الذي من خلاله يشكل الفرد شخصيته وطباعه، فهي تتكون من مختلف السمات والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ نشأته ، كما أن الثقافة شكل من أشكال التعايش بين أفراد المجتمع الواحد، وأن التعايش شكل من أشكال الثقافة بين مجتمعات مختلفة، والتعايش استلهام للثقافة وللتراث الثقافي لمجتمع أو لعدة مجتمعات، هو تعايش تشارك فيه كل المنتجات والقيم الثقافية، إنه مزج للقيم المشتركة(محمد ،2015-2016، ص 224).

فالثقافة التي يتصورها مالك بن نبي في صيغة بيداغوجية هي:" تركيب متآلف للأخلاق والجمال والمنطق العملي والفن الصناعي" (مالك بن نبي،1991،ص89) ، وعليه فمن خلال هذا التعريف نجد أن المركب الاجتماعي للثقافة حسب مالك بن نبي يتألف من أربع عناصر رئيسية وهي (مالك ،1986،ص87):

- عنصر الأخلاق لتكوين الصلات الاجتماعية
- عنصر الجمال لتكوين الذوق العام
- منطق عملي لتحديد أشكال النشاط العام
- الفن التطبيقي الموائم لكل نوع من أنواع المجتمع أو الصناعة حسب تعبير ابن خلدون

فبالنسبة للعنصر الأول المتعلق بالأخلاق فمالك بن نبي يرى بأنه لا يمكن للأفراد أن يجتمعوا ويكونوا وحدة تاريخية لتكوين حضارة إلا عندما تهذب غرائزهم بروح أخلاقية سامية ، يشكل فيها دين ما

دعامة أساسية ،ولعل أكبر مصادر خطر شباب اليوم أنهم ينظروا للمنتجات المدنية الغربية على أنها نتيجة علوم وصناعات ، ونسوا أن كل تلك المظاهر ماكان أن يكون لها وجود إلا بصلات اجتماعية خاصة هي الأساس الخلقي الذي قامت عليه تلك النهضة المدنية الغربية .

أما العنصر الثاني المتعلق بالذوق الجمالي ، فمالك بن نبي يرى بأن الأفكار والذوق العام لايتولدان إلا من خلال الصور المحسوسة والمشاهدة في الإطار الاجتماعي ، والتي تنعكس في نفس من يعيش فيه بحيث تصبح صورا معنوية يصدر عنها تفكير ، فالمجتمع الذي يحمل بين أرجائه صورا قبيحة لابد وأن يظهر أثرها على أفكاره وأعماله وسلوكاته.

وفيما يخص عنصر المنطق العملي لتحديد أشكال النشاط العام ،فيؤكد مالك بن نبي أن العقل المجرد متوافر في بلادنا العربية والإسلامية على خلاف العقل التطبيقي والذي حسبه يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه والذي يقول ويفكر ليعمل لا ليقول كلاما جميلا مجردا ، وهو ما تزخر به بلادنا للأسف مما ساهم في ضعفها وعدم تبوئها المراكز المتقدمة في جميع المجالات،فالواقع المعاش يرى أن من يكثرون الكلام والثرثرة لايعدون ، إلا أن من يقدموا الإضافة الحقيقية قولا وفعلا فهم قليلون .

أما آخر عنصر والمتعلقة بالصناعة فيدخل فيها كل ما يحسنه أفراد المجتمع فعله (الفنون، المهن، تطبيقات العلوم...الخ).

يتبين إذن مما سبق أن المفكر مالك بن نبي اعتبر الثقافة "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه ، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته(مالك ،1986،ص83) ، فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر، ويعطي لنا مالك بن نبي مثالا ولا أوضح عن وظيفة الثقافة بتمثيلها بوظيفة الدم ،فهو يتركب من الكريات الحمراء والبيضاء و، كلاهما يسبح في سائل واحد من "البلازما" ليغذي الجسد :فالثقافة هي ذلك الدم في جسم المجتمع يغذي حضارته ويحمل أفكاره كما يحمل أفكار العامة ، وكل من هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة ، و الاتجاهات الموحدة والأذواق المتناسبة.

4.4.الدورة الحضارية عند مالك بن نبي:

إن تركيب الحضارة حسب مالك بن نبي لا يتحقق بالإنتاج الصناعي أو بالفنون والماديات بل بالمبدأ أو بالعناصر الثلاث المشكلة لها حسب ما اشرنا سلفا ، وفي هذا السياق نجده يعرض قانونا للظاهرة الحضارية مبنيا في الأساس على أثر الفكرة الدينية في تكوين أية حضارة ،يظهر ثلاث مراحل ترسم حياتها من ميلادها إلى أفولها ،يمكن تلخيصها فيما يلي:

- **مرحلة الروح(الميلاد):** وهي المرحلة التي يكون فيها المجتمع على فطرته يمارس حياته وفقا لغريزته حتى تظهر فكرة روحية أو عقيدة دينية، تضبط غرائزه وتنظم فطرته وفق عملية نفسية أسماها بن نبي" العملية الشرطية" ، حيث تعمل على جعل تلك الغرائز في إطار

علاقة وظيفية مع تلك العقيدة الدينية الجديدة، لتحقق انسجاما في حياتهم، وتناسقا في سلوكهم وفقا للمقتضيات الروحية التي أمليت عليهم(لويزة ،2014، ص22).

- **مرحلة العقل(الأوج):** وفيها يشهد المجتمع كنتيجة للمرحلة الأولى تطورا وتثبيتا في القيم العليا ، إذ تكتمل علاقاته الداخلية وتقوى كلما عرفت الفكرة الدينية انتشارا أكثر ، فالحضارة في رأيه" لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء ، يكون للناس شرعا ومنهاجا أو هي على الأقل تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي ، بالمعنى العام ، فكأنما قدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حين يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية أو بعيدا عن حقيقته ، إذ حينما يكتشف حقيقة حياته الأرضية أو بعيدا عن حقيقته، إذ حينما يكتشف حقيقة حياته الكاملة يكتشف معها أسمى معاني الأشياء التي تهيمن عليها عبقريته وتفاعل معها ، فيستمر التطور ليأخذ العقل دوره ، فتزدهر العلوم والفنون مع مختلف المجالات الأخرى، لتزداد الفوائد ما يؤدي إلى توسع الحضارة وانتشارها (لكن هذا الانتشار سرعان ما يسفر عن نوع من الترف والبذخ الذي يمكن اعتباره – أن صح التعبير- الجرثومة التي تنمو في كنف تلك الحضارة لتسبب موتها بعد أن تكتسب الفعالية اللازمة لذلك(لويزة ،2014، ص ص22 -23).
- **مرحلة الغريزة(الأفول):** وهي المرحلة التي تبدأ فيها الغرائز بفك قيودها تحت سلطة العقل الذي لا يملك أية سيطرة عليها ، بعدما أخذ مكان الروح الذي نظمها وضبطها فيبدأ بذلك عصر الانحطاط الذي سرعان ما يسبب أفول الحضارة وسقوطها ، فأوج أية حضارة يلتقي مع بدأ مرض اجتماعي معين ، إلى جانب إصرار الغرائز المكبوحة بالفكرة الدينية على الانطلاق والتحرر الذي يسبب في نهاية المطاف فقدان الفكرة الدينية لوظيفتها الاجتماعية ما يعني تحلل المجتمع المتحضر وفساده(لويزة ،2014، ص23).

ويلخص لنا مالك بن نبي مراحل الحضارة من خلال المخطط التالي:

الشكل 01: مراحل الحضارة حسب مالك بن نبي

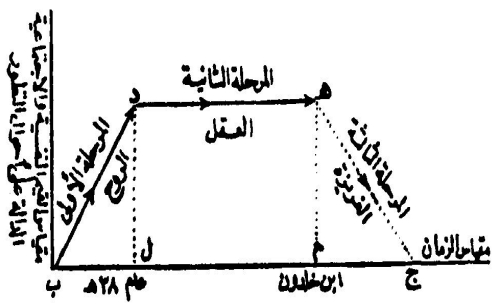

المصدر: مالك ، 1986،ص66

عموما فان مراحل الحضارة حسب مالك بن نبي حسب الشكل السابق يبدأ ميلادها بإخضاع الفكرة الدينية لغرائز الإنسان الفطري البدائي عبر تنظيمها في مرحلة روحية ، ثم بعد ذلك تتطور الحضارة مما يؤدي إلى نشوء مشكلات وضرورات ومتطلبات جديدة في مسارها كنتيجة حتمية وطبيعية لإشعاعها وانتشار أفكارها ، فتسلك في مرحلة ثانية منعطف العقل الذي يكون سلطانه على الغرائز أقل من سلطان الروح عليها ،ثم في مرحلة أخيرة ما تلبث أن تتحرر الغرائز فترة ، وهي مرحلة الغريزة مع انكماش للفعالية الاجتماعية للفكرة الدينية شيئيا فشيئا، إلى أن تصبح عاجزة عن القيام بمهمتها مما يؤدي إلى دخول المجتمع في ذيل التاريخ وتمت بذلك دورة الحضارة حسب مالك بن نبي

5. خاتمة:

لاشك أن موضوع الحضارة شغل بال الكثير من العلماء والباحثين بسبب قيمته العظيمة في الحياة ، وتناولنا لهذا المفهوم عند قامتين كبيرتين في العالم العربي والإسلامي من وزن العلامة ابن خلدون والمفكر مالك بن نبي هو تناول بسيط وموجز ، نظير فكر العالمين ودراساتهما التي يطول البحث والتنقيب في مآثرها، ولاشك أن تتبع الحضارة بمفهومها ومشكلاتها ودورتها هو عبارة عن سلسلة مترابطة عبر التاريخ فالعلامة ابن خلدون كانت أفكاره مستمدة من تجربته الحياتية من جهة ومن التراكم المعرفي الذي نهل منه فكره وعلمه من جهة أخرى ، ونفس الأمر بالنسبة للمفكر مالك بن نبي والذي إضافة إلى رصيده المعرفي ووجهة نظره نهل من التراث المعرفي السابق لاسيما من ابن خلدون ، والذي استدل من أفكاره في العديد من الدراسات والمؤلفات التي تركها، ومن خلال العرض الذي قدمناه في هذه الورقة البحثية تبين أن تناول ابن خلدون لمفهوم الحضارة لم يكن مفهوما مرتبطا بالبيئة فقط ، وإنما كان مفهوما نسبيا في طرح العناصر المشكلة للبناء الحضاري، واعتمد في ذلك على أحد أهم المداخل السوسيولوجية التي تستخدم في عصرنا الحالي قصد معالجة مختلف الظواهر الاجتماعية سواء ببعدها الايجابي أو السلبي وهو المدخل التاريخي ،و الذي من خلاله يتم استخدام المنهج التاريخي في الدراسات العلمية ، وتبنى ابن خلدون مقاربة سوسيولوجية مرتكزة على مفهومي العصبية والانتقال من البداوة إلى التحضر ، حيث كما أوردنا يرى أن وجود الدولة مرتبط بوجود المدينة أو بعبارة أخرى الحضارة ، وأن عمر الدولة يضاهي عمر الحضارة ، وأن هذا العمر يمر ثلاث مراحل كما أسلفنا الذكر، وتلعب العصبية في تناول الحضارة عند ابن خلدون دورا في عملية التفسير والتحليل لمفهومها، إضافة إلى عملية الانتقال من جيل البداوة إلى جيل التحضر، في حين أننا تناولنا مقاربة المفكر مالك بن نبي للحضارة من خلال نظرته العميقة لقيام الحضارة بالمجتمعات العربية والإسلامية خاصة ، حيث بنى مشروعه لبناء حضارة سليمة على الأفكار السليمة وأنه طالما كانت الفكرة سليمة وخالصة فإنها ستحقق عملية التغيير ، ومن ثمة تحقق النهضة التنموية ، وقد ركزنا في هذه الورقة البحثية على بعدين وهما الجانب الاجتماعي بما سماه مالك بن نبي بعالم الأشخاص والجانب الثقافي بما أسماه بعالم الأفكار ، وحاولنا التفصيل في البعد الأخير مبينين ما كان يسعى إليه مالك بن نبي من رفع اللبس عن الدور الكبير الذي تلعبه الفكرة السليمة في بناء المجتمعات العربية

والإسلامية ، وتقيم صرحا حضاريا متكاملا ، حيث أكد مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة "أن شراء المنتجات المادية لا يمكن من إنشاء حضارة ، لأن ذلك ليس إلا تكديسا يؤدي إلى حضارة شيئية فارغة من الروح والذوق والجمال" ، وحتى تكون لهذا المشروع حسب مالك بن نبي نتائج ايجابية وملموسة لابد من التحقق من الأساس السليم للثقافة أو الفكرة ، عموما حاولنا الإشارة إلى مقاربة ابن خلدون ومالك بن نبي نحو الحضارة بشكل مختصر ،وتظل هذه الورقة البحثية بعيدة من الإلمام بكل أبعاد الموضوع ، ويبقى فكر العالمين يغري الكثير من الباحثين والدارسين ويفتح الآفاق واسعة لتناول دراساتهم بشكل أعمق وأدق.

قائمة المراجع:

1) أبو صهيب الكرمي(2004):تاريخ ابن خلدون، الأردن ،المؤتمن للتوزيع ، بيت الأفكار الدولية
2) شنقال طارق، (2013)، الإسهامات السوسيولوجية لمالك بن نبي، ملتقى وطني نحو سوسيولوجيا غير السوسيولوجيا الغربية ، الجامعة الإفريقية،أدرار ،الجزائر
3) عيساوة وهيبة،(2007)، مفهوم الحضارة عند ابن خلدون وأبعاده، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 01، العدد 02،جامعة الأغواط
4) عبد الغني مغربي، تر محمد الشريف بن دجالي حسين، (1988) ، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون ،الجزائر، ،المؤسسة الوطنية للكتاب، ديوان المطبوعات الجامعية.
5) عبد الرحمان ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش ، (2004) ،المقدمة، ديوان المبتدأ والخبر، ط1، بيروت، لبنان، دار الفكر.

6) لويزة لعميري،(2014)، نظرية الثقافة عند مالك بن نبي- دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات ،جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.
7) محمد عابد الجابري، (1992)، فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي،ط05، بيروت، لبنان
8) محمد بغداد باي،(2016) ، تربية إنسان ما بعد الحضارة، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم النفس والأرطوفونيا، جامعة وهران2،الجزائر
9) مالك بن نبي، تر بسام بركة وأحمد شعبو ، (1988)، ط01، مشكلات الحضارة ،مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،دمشق ، سوريا ، دار الفكر
10) مالك بن نبي، تر عبد الصابور شاهين ، (1986)، مشكلات الحضارة ،شروط النهضة، ،دمشق ،سوريا، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.
11) مالك بن نبي، تر عبد الصابور شاهين،(1991)،ط01، مشكلات الحضارة ،القضايا الكبرى، ،بيروت ،لبنان ،دار الفكر المعاصر.
12) هدى بن زرقوطة ، (2010)، الدور الحضاري للمجتمعات الآسيوية المعاصرة عند مالك بن نبي- اليابان نموذجا- ، رسالة ماجستير، قسم الفلسفة ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر.